٣٠- صلح الحديبية

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة شهر رمضان وشوالاً، وخرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حرباً. وخرج رسول الله ﷺ بمن معه من المهاجرين والأنصار. ومن لحق به من العرب، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه. حتى إذا كان بعسفان (١) لقيه بشر بن سفيان الكعبى فقال: يا رسول الله، هذه قريش قد علمت بمسيرك فخرجوا يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم. قال: ما تظن قريش. فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة (٢). وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا سلك فى ثنية المرار(٣) بركت ناقته فقال: حبسها(٤) حابس الفيل عن مكة. والله لا تدعونى قريش إلى خُطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها. ثم قال للناس انزلوا. قيل له: يا رسول الله ما بالوادى ماء ننزل عليه. فأخرج سهماً. فأعطاه رجلاً من أصحابه. فنزل به فى

---

(١) عسفان: تبعد عن مكة قرابة ١٠٠ كم.

(٢) تنفرد هذه السالفة: السالفة أي العنق وقصد بقول (حتى الموت).

(٣) ثنية المرار: تبعد عن مكة قرابة ٢٥ كم.

(٤) حبسها حابس الفيل: منعها عن مكة كما منع أبرهة الأشرم يوم جاء لهدمها.

قليب[1] من تلك القلب. فغرزه في جوفه فجاش بالرواء[2] حتى ضرب الناس بعطن[3]. ثم بعثوا له (أي قريش) عروة بن مسعود، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ، فجلس بين يديه. ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه. والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله ﷺ بالحديد، فجعل يقرع[4] يده إذا تناول لحية رسول الله ﷺ ويقول له: أكفف يدك عن وجه رسول الله قبل أن لا تصل إليك. فقال عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة فقام من عند رسول الله ﷺ، فرجع إلى قريش. فقال: يا معشر قريش إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه. وإني والله ما رأيت ملكًا في قوم قط مثل محمد في أصحابه. ولقد رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا. فروا رأيكم. ودعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فبعثه إلى أشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب. إنما جاء زائرًا لهذا البيت معظمًا له. وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل. فدعا الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة. فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله على الموت. وكان جابر يقول: بايعنا على أن لا نفرّ. ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل[5]. ثم بعثت قريش

---

(١) قليب: بئر. (٢) جاش بالرواء: امتلأ بالماء الكثير.

(٣) العطن: مبرك الإبل حول الماء.

(٤) يقرع: يضرب.

(٥) من أمر عثمان باطل: أي لم يقتل.

سهيل بن عمرو وقالوا له: ائت محمداً وصالحه، ولا يكن في صُلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا فاصطلحا على وضع[1] الحرب عشر سنين يأمن فيهن الناس. وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه. ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدها دخل فيه[2].

٣١- فتح خيبر

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية، ذا الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر. ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب. وكان رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يُغِر[3] عليهم حتى يصبح فإذا سمع أذانًا أمسك واستقبلنا عمال خيبر غادين. فلما رأوا رسول الله والجيش قالوا: محمد والخميس[4] معه. فادبروا هرابًا. فقال رسول الله ﷺ: الله اكبر، خربت خيبر. إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين. وتدنى رسول الله الأموال يأخذها مالاً مالاً، ويفتحها حصنًا حصنًا. ولما افتتح رسول الله من حصونهم ما افتتح. انتهوا إلى حصنهم الوطيح

---

(١) وضع الحرب: إيقافها.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٠٨- ٣٢٢ باختصار.

(٣) يُغر: يهجم.

(٤) الخميس: الجيش.

والسلالم. وكان آخر حصون خيبر افتتاحًا. وحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة، وخرج مرحب اليهودى من حصنهم وقد جمع سلاحه يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنى مرحب
شاكى السلاح بطل مجرب
أطعن أحيانًا وحينًا أضرب
إذا الليوث(١) اقبلت تحرّب(٢)
إن حماى للحمى لا يقرب

فبرز له على بن أبى طالب وعليه جبة حمراء وهو يقول:

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة (٣)
كليث غابات كريه المنظرة
أوفيهم بالصاع يحمل السندرة (٤)

فضرب مرحبًا ففلق رأسه وكان الفتح. وفى رواية فبدره على

---

(١) الليوث: الأسود.

(٢) تُخَرب: تقاتل.

(٣) حيدرة: اسم من أسماء الأسد.

(٤) أوفيهم بالصاع يحمل السندرة: أقتلهم بسيفى كما يكيل البائع بالمكيال الكبير.

بضربة فقدّ[1] الحجر والمغفر ورأسه. وسمع أهل العسكر صوت ضربته.

ثم برز ياسر وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى ياسر
شاكى السلاح بطل مغاور
إذا الليوث أقبلت تبادر
إن حسامى[2] فيه موت حاضر

فخرج إليه الزبير وهو يقول:

قد علمت خيبر أنى زبار[3]
قرم لقرم غير نكس[4] فرار
ياسر لا يغررك جميع الكفار
فجمعهم مثل السراب الختار

ثم التقيا فقتله الزبير. فقال له رسول الله ﷺ: فداك عم وخال،

---

(١) قد: قطع.
(٢) حسامي: سيفي.
(٣) زبار: زبير.
(٤) النكس: الضعيف.

لكل نبى حوارى[1]. وحوارى الزبير.

وروى الشيخان وغيرهما أن رسول الله ﷺ أرسل أبا بكر رضى الله عنه فأخذ راية رسول الله ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً. ثم رجع ولم يكن فتح وقد جهد. ثم أرسل عمر رضى الله عنه فأخذ راية رسول الله ﷺ، فقاتل قتالاً شديداً هو اشد من القتال الأول. ثم رجع ولم يكن فتح. فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال: لاعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله عليه، ليس بفرار يحب الله ورسوله يأخذها عنوة[2] وبات الناس يدوكون[3] ليلتهم ايهم يُعطاها. قال أبو هريرة قال عمر: فما أحببت الإمارة إلا يومئذ وجاء على رضى الله عنه حتى أناخ قريبًا وهو رمد. فلما أصبح رسول الله ﷺ، صلى الغداة، ثم دعا باللواء ثم قال: أين على؟ قالوا: يشتكى عينيه. قالوا: فأرسلوا إليه. قال سلمة، فجئت به أقوده[4]، فقال له رسول الله: ما لك؟ قال: رمدت حتى لا أبصر قدامى. قال: أدن منى. فبصق فى عينه فبرأ كأن لم يكن بها وجع قط. ودعا له وأعطاه الراية وقال له: اذهب فقاتلهم حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت. فخرج بها

---

(١) الحوارى: الصديق المخلص المختار.

(٢) عنوة: بالقوة.

(٣) يدوكون ليلتهم: يتحدثون بصخب.

(٤) اقوده: أمسك بيده.

والله يهرول هرولة حتى ركزها تحت الحصن، فاطلع يهودى على رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: على. فقال اليهودى: علوتم والذى أنزل التوراة على موسى. فلما دنا من الحصن، خرج إليه أهله فقاتلهم. فضربه رجل من يهود، فطرح[1] ترسه من يده فتناول على باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله تعالى عليه، ثم ألقاه من يده حين فرغ. فلقد رأيتنى فى نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

وروى البيهقى عن جابر رضى الله عنهما أن علياً حمل الباب يوم خيبر، حتى صعد عليه المسلمون. فافتتحوها وأنه جرب بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً[2].

٣٢- بعث الرسل إلى الملوك

قال ابن هشام: حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صُدّ عنها يوم الحديبية فقال: أيها الناس إن الله بعثنى رحمة وكافة، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم؛ فقال أصحابه: وكيف اختلف الحواريون يا رسول الله؟ قال

---

(١) طرح: رمى.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣٢٨- ٣٤٤ باختصار.

دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه، فأما من بعثه مبعثًا قريبًا فرضى وسلم، وأما من بعثه مبعثًا بعيدًا فكره وجهه وتثاقل. فشكا ذلك عيسى إلى الله، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتعلم بلغة الأمة التى بُعث إليها.

فبعث رسول الله ﷺ رسلاً إلى أصحابه، وكتب معهم كتبًا إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام. فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ملك الروم، وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ملك فارس، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ملك الحبشة، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعباد ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان، وبعث سليط بن عمرو، أحد بنى عامر بن لؤى إلى ثمامة بن أثال، وهوذة بن على الحنفيين، ملكى اليمامة، وبعث العلاء بن عمرو الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى ملك تخوم الشام (١).

وعن ابن سعد فى الطبقات قال:

كان أول رسول بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشى، وكتب إليه

---

(١) رجال ثقات: إلا ليث بن ابي سليم وهو ضعيف.
السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٦٠٦- ٦٠٧.

كتابين يدعوه فى أحدهما إلى الإسلام، ويتلو عليه القرآن. فأخذ كتاب رسول الله ﷺ، فوضعه على عينيه، ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعًا، ثم أسلم وشهد شهادة الحق.. وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا.. فقرىء عليه، ثم أخذه فمزقه. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: اللهم مزق ملكه.. وبعث رسول الله ﷺ حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس صاحب الإسكندرية يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا.. فقرأه وقال له خيرًا ولم يسلم، وقال رسول الله ﷺ: ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه.. وبعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا. فخاف قومه على نفسه وملكه.. وبعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى يدعوه إلى الإسلام وكتب معه كتابًا.. فقرأه ثم رمى به وقال: من ينتزع منى ملكى؟ فقال رسول الله ﷺ: باد ملكه)[1].

٢٣- عمرة القضاء

قال ابن إسحاق: فلما رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من خيبر، أقام بها شهرى ربيع وجماديين ورجبًا وشعبان ورمضان وشوالاً، يبعث فيما بين ذلك من غزوة وسراياه ﷺ. ثم خرج فى ذى القعدة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، ١/٢٥٨ - ٢٦١ مقتطفات.

فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء مكان عمرته التى صدوه عنها . . وخرج معه المسلمون ممن كان صُد معه فى عمرته تلك وهى سنة سبع. فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسرة وجهد وشدة.

قال ابن إسحاق: فحدثنى من لا أتهم عن ابن عباس. قال: صفوا له صفين عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه. فلما دخل رسول الله ﷺ اضطبع[1] بردائه، وأخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة. ثم استلم الركن، وخرج يهرول[2] ويهرول أصحابه معه، حتى إذا واراه[3] البيت منهم واستلم الركن اليمانى، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف.

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله ﷺ حين دخل مكة فى تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام[4] ناقته يقول:

---

(١) اضطبع بردائه: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.

(٢) الهرولة: فوق المشى ودون الجرى.

(٣) واراه: ستره.

(٤) الخطام: الذى تقاد به الناقة.

خلوا بنى الكفار عن سبيله

خلوا فكل الخير فى رسوله

يارب إني مؤمن بقيله[1]

أعرف حق الله فى قبوله

قال ابن إسحاق: فاقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثًا. فاتاه حويطب ابن عبد العزى.... بن حسل فى نفر من قريش فى اليوم الثالث، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة. فقالوا له: قد انقضى أجلك، فاخرج عنا، فقال النبى ﷺ: وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم. وصنعنا لكم طعامًا فحضرتموه. قالوا: لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا. فخرج رسول الله ﷺ وخلّف مولاه أبا رافع على ميمونة (وكان قد تزوجها فى سفره هذا وهو حرام[2]، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب) حتى أتاه بها بسرف. فبنى بها رسول الله ﷺ هنالك. ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة فى ذى الحجة[3].

٣٤- غزوة مؤتة

فى جمادى الأولى سنة ثمان.

---

(١) قيله: قوله.

(٢) وهوحرام: وهو محرم فى ثياب الإحرام.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٢ / ٣٧٠ - ٣٧٣ باختصار.

قال ابن إسحاق: بعث رسول الله ﷺ بعثة إلى مؤتة في جُمادى الأولى سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال: إن أُصيب[1] زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس فإن أُصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس. فتجهز الناس، ثم تهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف. فقال الناس: صحبكم الله وردكم إلينا سالمين. فقال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربه ذات فرغ[2] تقذف الزبدا[3].

أو طعنة بيدى حران[4] مجهزة[5]

بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا

حتى يقال إذا مروا على جدثى[6]

يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

---

(١) أصيب: قتل.

(٢) ذات فرغ: ذات سعة.

(٣) الزبد: الدم.

(٤) حران: رجل قوى.

(٥) مجهزة: قاتلة.

(٦) جدثى: قبرى.

ثم خرج القوم، وخرج رسول الله ﷺ حتى إذا ودعهم وانصرف، مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام فبلغهم أن هرقل قد نزل مآب فى مائة ألف من الروم وانضم إليهم من العرب مائة ألف. فلما بلغ ذلك المسلمون أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضى له. فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: ياقوم! والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين؛ إما ظهور[1]، وإما شهادة. فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة. فمضى الناس، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف. ثم دنا العدو، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة. فالتقى الناس عندها، فتعبأ لهم المسلمون. ثم التقى الناس واقتتلوا. فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله ﷺ حتى شاط[2] فى رماح القوم.

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء، فعقرها[3]، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

---

(١) ظهور: نصر.

(٢) شاط: قتل.

(٣) عقرها: قتلها.

ياحبذا الجنة واقترابها

طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها

عليَّ إذ لاقيتها ضرابها

كافرة بعيدة أنسابها

وأخذ اللواء بيمينه فقطعت. فأخذه بشماله فقطعت.

فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء. و يقال إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة فقطعه نصفين. فلما قُتل جعفر أخذعبد الله بن رواحة الراية ثم تقدم بها وهو على فرسه ثم قال:

أقسمت يانفس لتنزلنه

لتنزلن أو لتكرهنه

قد طال ما قد كنت مطمئنة

مالى أراك تكرهين الجنة

وقال أيضًا:

يانفس إلاتقتلى تموتى

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلى فعلهما[1] هديت

ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قتل.

ثم أخذ الراية ثابت بن أرقم. فقال: يامعشر المسلمين، اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت. قال: ما أنا بفاعل.

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع القوم، ثم انحاز حتى انصرف بالناس. قال ابن هشام. فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه. أمِّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد. ففتح الله عليهم. وكان عليهم حتى قفل[2] إلى النبى ﷺ.

وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: أخذ الراية زيد فأصيب. ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها عبد الله بن رواحة فأصيب ثم أخذ الراية بعد سيف من

(١) إن تفعلى فعلهما: تقاتلى كما قاتل زيد وجعفر.

(٢) قفل: رجع.

سيوف الله خالد بن الوليد من غير إمرة ففتح عليه. فجعل يحدث الناس وعيناه تذرفان[١].

عن قيس بن أبى حازم قال: سمعت خالد بن الوليد يقول: لقد اندق[٢] فى يدى يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى فى يدى إلا صفيحة يمانية.

قال ابن إسحاق: فلما أصيب القوم قال رسول الله ﷺ: لقد رُفعوا إلىَّ فى الجنة - فيما يرى النائم - على سرر من ذهب، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً[٣] عن سريرى صاحبيه، فقلت عم هذا؟ قالوا: مضيا وتردد بعض التردد ثم مضى[٤].

٣٥- فتح مكة

قال ابن إسحاق لما تظاهرت[٥] بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا[٦]، منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله

---

(١) تذرفان: تدعمان.

(٢) اندق: انكسر.

(٣) ازوراراً: انخفاضاً.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ٤/ ١٥ - ٢٢ مقتطفات.

(٥) تظاهرت: اتفقت.

(٦) أصابوا: قتلوا.

ﷺ من العهد والميثاق خرج عمرو بن سالم الخزاعى حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة. فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين الناس فقال:

يارب إنى ناشد محمدا
حلف أبينا وأبيه الأتلدا(١)
فانصر هداك الله نصراً أعتدا(٢)
وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا(٣)
إن قريشا أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالهجير هجدا(٤)
وقتلونا ركعاً وسجدا

فقال رسول الله ﷺ: نصرت ياعمرو بن سالم.

---

(١) الأتلدا: القديم.
(٢) أعتداً: قويًا.
(٣) تجردا: شمر وتهيأ.
(٤) هجداً: نائمون.

ثم مضى رسول الله ﷺ لسفره، ونزل مرّ الظهران[١] فى عشرة آلاف من المسلمين. وقد عميت الأخبار عن قريش. وخرج فى تلك الليالى أبوسفيان بن حرب وغيره يتحسسون[٢] الأخبار. يقول العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ: سمعت كلام أبى سفيان بن حرب يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا فقال بديل بن ورقاء: هذه والله خزاعة حمشتها[٣] الحرب. فقال أبوسفيان: خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. فعرفت صوته فقلت: ياأبا حنظلة[٤]. فعرف صوتى. فقال: أبوالفضل؟[٥] فقلت: نعم. قال: ما لك فداك أبى وأمى. قلت: ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله ﷺ فى الناس. والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك. فاركب فى عجز[٦] هذه البغلة حتى آتى رسول الله ﷺ فاستامنه لك. فركب خلفى، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فلمارأى أبا سفيان على عجز الدابة قال: أبوسفيان، عدو الله الحمد لله الذى

---

(١) مر الظهران: مكان قريب من مكة.

(٢) يتحسسون: يستمعون.

(٣) حمشتها: حمستها.

(٤) أبوحنظلة: هو أبوسفيان.

(٥) أبوالفضل: هو العباس.

(٦) عجز: مؤخرة.

أمكن منك بغير عقد ولا عهد وركضت البغلة. ثم خرج يشتد[1] فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطئ. فدخلت على رسول الله ﷺ ودخل عليه عمر فقال: يارسول الله هذا أبوسفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعنى[2] فلأضرب عنقه. قلت يارسول الله: إنى قد أجرته، فقال رسول الله ﷺ: اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت، فائتنى به. فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله ﷺ. فلما رآه قال: ويحك ياأبا سفيان: ألم يان[3] لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبى أنت وأمى[4]؛ ما أحلمك وأكرمك وأوصلك. والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئًا. قال: و يحك يا أبا سفيان، ألم يان لك أن تشهد أنى رسول الله. قال: بأبى أنت وأمى ماأحلمك وأكرمك وأوصلك: أما هذه ففى النفس منها شيئًا. قال له العباس: ويحك يا أبا سفيان أسلم. فأسلم. قلت: يارسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا. قال:نعم. من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. قلت: النجاء إلى قومك. حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش: قد جاءكم محمد

---

(١) يشتد: يركض.

(٢) دعنى: اتركنى.

(٣) الم يان: الم يصر الوقت مناسبًا.

(٤) بأبى أنت وأمى: أفديك بأبى وأمى.

فيما لا قبل[1] لكم به. فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن. فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد. قال ابن إسحاق: وكان صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل قد جمعوا أناسًا بالخندمة[2] ليقاتلوا. فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم[3] شيئًا من قتال. وأصيب من المشركين ناس قريب من اثني عشر رجلاً. ثم انهزموا. فخرج رجل منهزمًا إلى بيته ثم قال لامرأته: أغلقي عليَّ بابي. قالت: فأين ما كنت تقول إنك تخدمني[4] أحدهم؟ فقال:

إنك لو شهدت يوم الخندمة
إذ فر صفوان وفر عكرمة
واستقبلتهم بالسيوف المسلمة
يقطعن كل ساعد وجمجمة
ضربًا فلا تسمع إلا غمغمة
لهم نهيت[5] خلفنا وهمهمة
لم تنطقي باللوم أدنى كلمة

(١) لا قبل لكم به: لا قدرة لكم عليه.
(٢) الخندمة: اسم مكان بمكة.
(٣) ناوشوهم: قاتلوهم.
(٤) تخدمني: تأتيني بخادم.
(٥) نهيت: صوت مرعب.

ولما نزل رسول الله ﷺ مكة، واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به سبعاً على راحلته وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فجعل النبى ﷺ يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول: جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقًا. فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ولا أشار إلى قفاه إلاوقع لوجهه، حتى ما بقى صنم إلا وقع. فقال تميم بن أسد:

وفى الأصنام معتبر وعلم
لمن يرجو الثواب أو العقابا

ثم قام رسول الله ﷺ على باب الكعبة فقال: يامعشر قريش. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها[1] بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب. ثم تلا هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ الآية. ثم قال: يا معشر قريش: ما ترون أنى فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فانتم الطلقاء[2]. »[3].

٣٦- غزوة حنين

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ ومعه ألفان من

---

(١) تعظمها: افتخارها.

(٢) الطلقاء: الأحرار.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام،مقتطفات ٢ / ٣٨٩ - ٤١٧.

أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه. وعن جابر ابن عبد الله قال: لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى وادٍ من أودية تهامة وفى عماية[1] الصبح. وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى. فكمنوا لنا فى شعابه، وقد تهيأوا وأعدوا. فوالله ما راعنا ونحن منحطون[2] إلا الكتائب قد شدّوا علينا شدة رجل واحد، وانشمر الناس راجعين، لا يلوى[3] أحد على أحد وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين، ثم قال: أيها الناس، هلموا إلىّ، أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله. فلا شيء حملت الإبل بعضها على بعض. فانطلق الناس إلا أنه بقى مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته.

قال ابن إسحاق: وحدثنى الزهرى عن كثير بن العباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: إنى لمع رسول الله ﷺ آخذ بحَكَمة[4] بغلته البيضاء، وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت ورسول الله ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: أين أيها الناس؟ فلم أر الناس يلوون على شيء. فقال: يا عباس! اصرخ: يا معشر الأنصار،

---

(١) عماية الصبح: شدة الليل والظلام قبيل الصبح.

(٢) منحطون: نازلون.

(٣) لا يلوى: لا يعى.

(٤) حَكَمَة البغلة: حباسها عند فكيها.

يامعشر أصحاب السَمُرَة[1] قال: فأجابوا: لبيك، لبيك. قال: فيذهب رجل ليثنى بعيره، فلا يقدر على ذلك. فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ويقتحم[2] عن بعيره، ويخلى سبيله[3]. فيؤم[4] الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ. حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة، استقبلوا الناس فاقتتلوا.

وعن جابر بن عبد الله قال: بينما ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما صنع إذ هوى إليه على بن أبى طالب ورجل من الأنصار يريدانه. فيأتيه على بن أبى طالب من خلفه فيضرب به عرقوبى[5] الجمل، فوقع على عجزه[6]، ووثب الأنصارى على الرجل، فضربه ضرب أطنّ[7] قدمه بنصف ساقه، فانجعف[8] عن رحله. واجتلد[9] الناس فوالله ما رجعت راجعة

---

(١) السمرة: الشجرة التى بايعت الأنصار تحتها.

(٢) يقتحم: ينزل.

(٣) يخلى سبيله: يتركه.

(٤) يؤم الصوت: يقصده.

(٥) عرقوبى الجمل: رجليه.

(٦) على عجزه: على مؤخرته.

(٧) أطنّ: أطار.

(٨) انجعف: وقع ومال.

(٩) اجتلد: اقتتل.

الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله ﷺ. والتفت رسول الله ﷺ إلى أبى سفيان بن الحارث، وكان حسن الإسلام حين أسلم. وهو آخذ بثفر[1] بغلته. فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أمك يا رسول الله.

والتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سُلَيم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبى طلحة. وإنها لحامل فقال لها: أم سليم قالت: نعم بأبى أنت وأمى يا رسول الله، اقتل الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل، ومعها خنجر. فقال لها زوجها أبو طلحة: يا أم سليم ما هذا الخنجر الذى معك؟ قالت: خنجر أخذته إن دنا[2] إلىَّ أحد من المشركين، بعجته[3] به.

وعن جبير بن مطعم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البجاد[4] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم. فنظرت، فإذا نمل أسود مبثوث[5] قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ثم لم يكن إلا هزيمة القوم.

---

(١) ثفر: السير فى مؤخرة البغلة.

(٢) دنا: اقترب.

(٣) بعجته به: قتلته به وشققت بطنه.

(٤) البِجَاد: الكساء والثوب.

(٥) نمل اسود: مثل النمل لكثرته.

وبعث رسول الله ﷺ فى آثار من توجه إلى أوطاس[1] أبا عامر الأشعرى. ولقى فى هذا اليوم عشرة من المشركين. فحمل عليه أحدهم. فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام، ويقول: اللهم اشهد عليه. فقتله أبو عامر، ثم جعلوا يحملون عليه رجلاً رجلاً، ويحمل عليه أبو عامر وهو يقول ذلك حتى قتل تسعة، وبقى العاشر، فحمل على أبى عامر، وحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول: اللهم اشهد عليه. فقال الرجل: اللهم لا تشهد علىّ. فكفّ عنه أبو عامر، فافلت ثم أسلم وقال ابن إسحاق: وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر، أن رسول الله ﷺ قال يومئذ: إن قدرتم على بجاد[2] فلا يفلتنكم[3]. فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيماء بنت الحارث أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة. فعنفوا[4] عليها فى السياق فقالت للمسلمين: تعلموا والله إنى لأخت صاحبكم من الرضاعة. فلم يصدقوها حتى أتوا بها رسول الله ﷺ. فلما انتهت إليه، قالت: يا رسول الله إنى أنا أختك من الرضاعة. قال: وما علامة ذلك؟ قالت: عضة عضضتنيها فى ظهرى. فعرف رسول الله ﷺ العلامة. فبسط إليها رداءه، فأجلسها

---

(١) أوطاس: وادٍ من أودية حنين.

(٢) بجاد: اسم رجل.

(٣) لا يفلتنكم: لا يهرب منكم.

(٤) عنفوا عليها: أتعبوها.

عليه وقال: إن أحببت فعندى معززة مكرمة. وإن أحببت أن أمتعك[1] وترجعى إلى قومك. فقالت: بل تمتعنى وتردني إلى قومى، فمتعها رسول الله، وردها إلى أهلها، وأعطاها غلامًا له وجارية. فزوجت أحدهما الآخر، فلم يزل فيهم من نسلها بقية[2].

٣٧- غزوة الطائف وسبايا هوازن

ثم سار رسول الله ﷺ إلى الطائف حين فرغ من حنين. فضرب بها عسكره[3]. ودخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه. فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار. فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل. فقتلوا منهم رجالاً ونزل على رسول الله ﷺ فى إقامته ممن كان محاصرًا بالطائف عبيد فأسلموا. فأعتقهم رسول الله ﷺ. ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف حتى نزل بالجعرانة فيمن معه من الناس ومعه من هوازن سبى كثير. وقال له رجل من أصحابه يوم ظعن[4] عن ثقيف[5]: يا رسول الله ادع عليهم.

---

(١) أمتعك: أكرمك وأحسن إليك.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٤/٨٣ - ١٠١ مقتطفات.

(٣) ضرب بها عسكره: أنزل بها جيشه.

(٤) ظعن: رحل وسافر.

(٥) ثقيف: قبيلة تسكن الطائف.

فقال: اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم. وكان معه من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الإبل والشاء ما لا يدرى عدته. وأتى وفد هوازن رسول الله ﷺ وقد أسلموا فقالوا: يا رسول الله إنا أهلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا منَّ الله عليك. وقام رجل من هوازن فقال: يا رسول الله إنما فى الحظائر(١) عماتك وخالاتك(٢) وحواضنك اللاتى كن يكفلنك. فقال رسول الله ﷺ: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم. فقالوا: يا رسول الله! تخيرنا بين أموالنا وأحسابنا. بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا. فردَّ إليهم نساءهم وأبناءهم. وقسم الغنائم بين المسلمين ولم يعط الأنصار شيئًا.

قال ابن إسحاق: وأعطى رسول الله ﷺ المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافًا من أشراف الناس، يتألفهم ويتالف بهم قومهم. ولما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا فى قريش فى قبائل العرب ولم يكن فى الأنصار منهم شيء، وجد(٣) هذا الحى من الأنصار فى أنفسهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة(٤) من الدنيا تالفت بها قوماً ليسلموا،

(١) الحظائر: أماكن إقامة الناس.

(٢) عماتك وخالاتك: من الرضاعة.

(٣) وَجَدَ: حزن وتألم.

(٤) لعاعة: بقلة ناعمة شبه بها الدنيا.

ووكلتكم إلى إسلامكم ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير. وتذهبوا أنتم برسول الله إلى رحالكم. فوالذى نفسى بيده لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك الناس شعبًا[1]، وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكى القوم حتى اخضلوا[2] لحاهم. وقالوا: رضينا برسول الله قسمًا وحظًا.

ثم خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة[3] معتمرًا فى ذى القعدة، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فى بقيتها[4].

٣٨- غزوة تبوك

ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب. ثم أمر بالتهيؤ لغزو الروم، وذلك فى زمان عسرة[5] من الناس، وشدة من الحر، وحين طابت الثمار، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم. ثم إن رسول الله ﷺ جدَّ فى سفره، وأمر الناس

---

(١) شعبًا: طريقًا.

(٢) اخضلوا: بللوا.

(٣) الجعرانة: بلد قريب من مكة.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام، ٤/١٢٥-١٤٣ مقتطفات.

(٥) عسرة: ضيق.

بالجهاز[1] وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحملان[2] في سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى. وأنفق عثمان بن عفان في ذلك نفقة عظيم لم ينفق أحد مثلها. أنفق ألف دينار، وحمل ألف بعير فقال رسول الله ﷺ: اللهم ارض عن عثمان فإني عنه راض. ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ﷺ وهم البكاؤون. فاستحملوا[3] رسول الله ﷺ وكانوا أهل حاجة[4]. فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون. ثم استتب[5] برسول الله ﷺ سفره، وأجمع[6] السير. وحين مر رسول الله بالحجر[7]. نزلها، واستقى الناس من بئرها فقال رسول الله ﷺ لا تشربوا من مائها، ولا تتوضؤا منه للصلاة. فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فدعا الله. فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء. ولما انتهى رسول الله إلى تبوك أتاه صاحب إيله (إيلات)

---

(١) الجهاز: الاستعداد للجهاد.

(٢) الحملان: أن يشترى الأغنياء الجمال للفقراء ليركبوا عليها.

(٣) يستحملوه: يطلبوا منه دابة يركبوها.

(٤) حاجة: فقر.

(٥) استتب: تتابع واستمر.

(٦) أجمع السير: قرر.

(٧) الحجر: المكان الذى أهلك الله فيه قوم صالح.

فصالح رسول الله وأعطاه الجزية. وأقام رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة لم يجاوزها، ثم انصرف قافلاً[1] إلى المدينة. وكان في الطريق ماء يخرج من وشل[2] ما يروى الراكب والراكبين. ثم نزل ووضع يده تحت الوشل فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه[3] به، ومسحه بيده، ودعا ما شاء الله أن يدعو فانخرق من الماء ما إن له حسًا كحس الصواعق. فشرب الناس واستقوا حاجتهم وكانوا ثلاثين ألفًا.

وعن ابن مسعود قال: قمت في جوف الليل وأنا مع رسولّ الله في غزوة تبوك. فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر. قال: فاتبعتها أنظر إليها فإذا رسول الله وأبو بكر وعمر. وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات. وقد حضر والده. ورسول الله في حفرته، وأبو بكر وعمر يدلّيانه إليه، وهو يقول: ادنيا إليّ أخاكما فدلياه إليه. فلما هيأه لشقه قال: اللهم إني أمسيت راضيًا عنه فارض عنه. يقول ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة. وإنما سمي ذا البجادين لأنه كان ينازع إلى الإسلام، فيمنعه قومه من ذلك ويضيقون عليه، حتى تركوه في بجاد[4] ليس له غيره فهرب منهم

---

(١) قافلاً: راجعًا.

(٢) وشل: حجر يخرج تحته ماء قليل.

(٣) نضحة: رشه.

(٤) بجاد: كساء غليظ.

إلى رسول الله. فلما كان قريبًا منه شق بجاده باثنين. فاتزر بواحد، واشتمل الآخر[1] قالوا: لما كان رسول الله ﷺ ببعض الطريق (عائداً من تبوك) مكر به أناس من المنافقين، وائتمروا أن يطرحوه من عقبة[2] في الطريق. فلما بلغ رسول الله ﷺ تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها معه، فأخبر رسول الله ﷺ العقبة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، وأمر حذيفة بن اليمان يسوق من خلفه. فبينا رسول الله ﷺ يسير في العقبة إذ سمع حسن القوم قد غشوه[3]. فغضب رسول الله ﷺ، وأمر حذيفة أن يردهم. فرجع حذيفة إليهم، فجعل يضرب وجوه رواحلهم بمحجن[4] في يده. وظن القوم أن رسول الله ﷺ قد أطلع على مكرهم فانحطوا من العقبة مسرعين حتى خالطوا الناس..

فلما أصبح قال له أسيد بن الحضير: يا رسول الله، ما منعك البارحة من سلوك الوادي، فقد كان أسهل من العقبة؟ قال: يا أبا يحيى، أتدرى ما أراد البارحة المنافقون وما اهتموا به؟ قالوا: نتبعه في العقبة، فإذا أظلم الليل عليه، قطعوا أنساع راحلتي[5]،

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٤ / ١٦٩ - ١٨٣ مقتطفات.
(٢) العقبة: المكان الضيق من الجبل والذى يطل على الوادى.
(٣) غشوه: هجموا عليه.
(٤) المحجن: عصاة من خشب.
(٥) قطعوا أنساع الراحلة: الحزم الذى تحت بطنها ليسقط عنها رسول الله.

ونخسوها حتى يطرحونى من راحتلى، فقال أسيد: يا رسول الله. فقد اجتمع الناس ونزلوا، فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى همَّ بهذا. فيكون الرجل من عشيرته هو الذى يقتله، وإن أحببت، والذى بعثك بالحق، فنبئنى بهم. فلا تبرح حتى آتيك برؤوسهم، وأمرت سيد الخزرج فكفاك من ناحيته، فإن مثل هؤلاء يتركون يا رسول الله؟ حتى متى نداهنهم، قد صاروا اليوم فى القلة والذلة وضرب الإسلام بجرانه؟ قال رسول الله ﷺ لاسيد:

إى أكره أن يقول الناس إن محمداً لما انفضت الحرب بينه وبين المشركين وضع يده فى قتل أصحابه فقال: يا رسول الله، فهؤلاء ليسوا لك بأصحاب. قال رسول الله ﷺ: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، ولا شهادة لهم. قال: أليسوا يظهرون أنى رسول الله؟ قال: بلى ولا شهادة لهم. قال: فإنى نهيت عن قتل أولئك.

وكان أهل العقبة الذين أرادوا بالنبى ﷺ ثلاثة عشر رجلاً قد سماهم رسول الله ﷺ لحذيفة وعمار(١).

قال ابن إسحاق: ثم أقبل رسول الله ﷺ حتى نزل بذى أوان - بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار - وكان أصحاب مسجد الضِّرار

---

(١) المغازى للواقدى ٣/١٠٤٢ - ١٠٤٤ مقتطفات.

قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية. وإنا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه. فقال: إنى على جناح سفر، وحال شغل، أو كما قال ﷺ: لو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم، فصلينا لكم فيه. فلما نزل بذى أوان، أتاه خبر المسجد. فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدُّخشم، ومعن بن عدى فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه. فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف، فدخل مالك إلى أهله، فأخذ سعفًا من نخل، فأشعل فيه ناراً. ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه، ونزل فيه من القرآن ما نزل: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ١٠٧][1].

قال إبن اسحاق حدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: لما توفى عبد الله بن أبى (وكان رئيس المنافقين فى المدينة) دعى رسول الله ﷺ للصلاة عليه، فقام إليه. فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحوّلت

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٥٢٩ - ٥٣٠.

حتى قمت فى صدره[1] فقلت: يا رسول الله، أتصلى على عبد الله بن أبى بن سلول؟ القائل يوم كذا كذا، والقائل يوم كذا وكذا، أعدد أيامه، ورسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت قال: يا عمر. أخّر عني إني قد خيرت فاخترت وقد قيل لي: «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» فلو أعلم أني إن زدت عن السبعين غُفر له لزدت. ثم صلى عليه رسول الله ﷺ، ومشى معه حتى قام على قبره، حتى فُرغ منه، فعجبت لى ولجراتى على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان يسيراً[2] حتى نزلت هاتان الآيتان:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فما صلى بعدها رسول الله ﷺ بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى[3].

٣٩- عام الوفود

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك،

---

(١) قمت فى صدره: وقفت أمامه.

(٢) يسيراً: قليلاً.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٥٥٢.

وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه. وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمر هذا الحي من قريش، وأمر رسول الله ﷺ. وذلك أن قريشًا كانت إمام الناس وهاديهم، وأهل البيت الحرام، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقادة العرب، والعرب لا ينكرون ذلك. وكانت قريش هي التي نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه. فلما افتتحت مكة، ودانت له قريش، ودوَّخها الإسلام، وعرفت العرب أن لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته. فدخلوا في دين الله كما قال عزوجل - أفواجًا - يضربون إليه من كل وجه، يقول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

فقدمت على رسول الله ﷺ وفود العرب.

فقدم عطارد بن حاجب في أشراف بني تميم منهم: الأقرع بن حابس، والزبرقان بن بدر، وفي وفد بني تميم: نعيم بن زيد وقيس بن عاصم في وفد عظيم من بني تميم. وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله ﷺ رجلاً منهم يقال له ضمام بن ثعلبة.

وقدم على رسول الله ﷺ الجارود بن عمرو أخو عبد القيس.

وقدم على رسول الله ﷺ وفد طيىء فيهم زيد الخيل وهو

سيدهم وفيهم عدى بن حاتم.

وقدم فروة بن مُسَيك المرادى على رسول الله ﷺ مفارقًا للملوك كثرة، مباعدًا لهم.

وقدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معد يكرب فى أناس من زبيد فأسلم.

وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس فى وفد كندة فى ثمانين راكبًا من كندة.

وقدم على رسول الله ﷺ صُرد بن عبد الله الأزدى فأسلم وحسن إسلامه فى وفد من الأزد.

وقدم على رسول الله ﷺ كتاب مملوك حمير مقدمه من تبوك ورسوله بإسلامهم.

ثم بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران. فأقبل وأقبل معه وفدهم بإسلامهم.

وقدم وفد همدان على رسول الله ﷺ بعد أن أسلموا على يدى على بن أبى طالب فى اليمن.

وبعث رسول الله ﷺ أمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان(١).

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/٥٥٩، ٥٦٠.